

كلمة الأب الرئيس وليد موسى في الندوة حول أسئلة الدين والحضارة في أدب فيودور

دوستويوفسكي

في ١٢ أيار ٢٠٠٧

أيها الأصدقاء،

ليس عجباً أن تستضيف جامعة سيدة اللويزة ندوةً بعنوان: أسئلة الدين والحضارة في أدب فيودور دوستويوفسكي. هذا الروسي الذي نحتفل بمرور مائة وخمسة وثمانون سنة على مولده ومائة وخمسة وعشرون سنة على وفاته.

وليس عجباً أن تتردد أصداء إسم هذا الرجل العظيم بين جدران هذه الجامعة الكاثوليكية، وأن ترنّ أنغامه في آذان المنتمين إليها، وأن يتلفظوا حروفه بوجل واحترام.

وليس عجباً أن نجتمع سوية لنقوم بقراءة للواقع الإجتماعي اللبناني الحالي على ضوء البرنامج الإنساني الخاص الذي عمل دوستويوفسكي على وضعه.

لقد قال أحدهم أنه "عندما تقرأ دوستويوفسكي تلتقي به فيلسوفاً دينياً، محلاً سياسياً، عالماً نفسانياً، إلى جانب كونه كاتباً أدبياً". وها أنتم اليوم، أيها الباحثون، تتكلمون في هذه المحاور وتعالجون قضاياها. أسئلة الدين، والأنا والآخر، والحضارة ومخاضاتها النفسية والوجودية، في أدب دوستويوفسكي، أسئلةٌ تودون أيها العارفون الجواب عليها، ونحن نعول على جهدكم الدؤوب وفكركم النير.

صحيحٌ أن كاتبنا لم يكن ليدخل الكنيسة ولا كان الكهنة يروقون له، ولكنه كان يخاف الله، الذي من دونه كلُّ شيء مباح، وكان يحمل للمسيح تقديراً عميقاً في كلامه. لقد حافظ على كتاب الأناجيل، الكتاب الذي لم يفارقه أبداً في سجنه، حتى آخر يوم من حياته. وفي هذا السياق، كان

يؤمن "أن قلب الإنسان هو ساحة المعركة بين الله والشيطان"، وأن "هناك أمور يخاف المرء من أن يقولها حتى لنفسه، ولدى كل إنسان محترم عددٌ من هذه الأمور يختزنها في ذهنه".

من جهة ثانية، لقد شغلت قضية الأنانية بال دوستويوفسكي في نهاية الأربعينات من القرن التاسع عشر. وفي "مذلولون مهانون" عاد إلى موضوع نقد التبشير الفردي للذات وطموحاتها المغرضة، فنراه يسعى جاهداً إلى حل هذه المشكلة الأخلاقية الإجتماعية الرئيسية. وكان هذا العالم الإجتماعي يكتب عن واقع لا يحده مكان ولا يختصره زمان. وكأنه يعيش معاناة وطني لبنان، حيث الطموحات الشخصية المغرضة تستبيح قدسيات الإنسان وقيمه.

وهو الذي "لا يطبق المجالات الضيقة والصغيرة لأنها تُضيّق الخناق على الأفكار نفسها"، نراه في تفتيش دائم عن أفق واسعة، قائلاً: "ما أعجب ما يستطيع أن يفعله في نفس إنسان شعاع من شمس". ويدعو باستمرار للتحلي بالرجاء إذ إن "العيش من دون رجاء هو توقف عن الحياة".  
وكم نحن اليوم في لبنان بحاجة لكي نتعلم كيف نخرج من التوقع على الذات ومن الإنغلاق في حجم الفتوية، ونعمل بجهد في سبيل الإنفتاح على الآخر والتشارك معه في أمور الحياة والوطن؛ وكم نحن اليوم بحاجة أيضاً لكي نفتح قلوبنا لشعاع من شمس محبة الله يعمل فينا ومن خلالنا؛ وكم نحن بحاجة إلى فُسحة رجاء.

أيها الأصدقاء،

إسمحوا لي أن أشكر حضوركم الكريم، وأن أثنى على جهود البيت اللبناني الروسي، والمركز الثقافي الروسي في لبنان، والمركز اللبناني للأبحاث المجتمعية في جامعة سيدة اللويزة، وكل من ساهم في التحضير لهذا اللقاء، متمنياً لكم التقدم في عملكم والنجاح في ندوتكم.

وأهلاً وسهلاً بكم.